مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٢، العدد ٢، صيف ١٤٣٧ هـ
صفحة ٣٠٣- ٣٣٣

Print ISSN:1735-9767
line ISSN:6187-2423
jal-lq.ut.ac.ir

# الرُّؤية الكونية لدى الخيام والزهاويُّ في ميزان المقارنة والتّحليل

**عبد الرضا عطاشي[١]*، أحمد صنوبر[٢]**

١. أستاذ مساعد وعضو بهيئة التدريس، جامعة آزاد الإسلامية، عبادان
٢. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، عبادان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/٧/٢٨ ؛ تاريخ القبول: ٢٠١٦/٩/١٧)

## الملخّص

انتشرت الحضارة الاسلامية بالعلوم والفنون منذ البداية من زمن الرسول الاكرم ﷺ واستمرت في الفترات الأموية والعباسية فهذه الحركة نشطت بعد دخول الأُمم الجديدة في الإسلام وبعد الامتزاج الذي حصل بين الأُمَّة العربية وغيرها من الأمم كالفارسية والتُّركية والهندية وتميزت هذه الحضاره بالتوحيد والتنوع في العرق والفنون والعلوم فامتدت أواصرها في ايران وبدأت تنتج ثمارها بظهور شخصيات فريدة مثل ابي بكر الرازي (٢٥١-٣٠٤هـ) صاحب كتاب الحاوي في الطب والجدري والحصبة وكتاب من لايحضره الطبيب وايضاً مثل ابي علي سينا (٣٧١-٤٢٨هـ) صاحب القانون والشفاء والأرصاد والحكيم عمر الخيام (٤٤٠-٥٣٦هـ) صاحب رسالة ميزان الحكمة المقابلة ورسالة الكون والتكليف فظهر على مسرح الفكر والأدب كفيلسوف مشائي تابع لأبن سينا فيدافع من تلك الفكرة في رسائله الفلسفية مثل رسالة «الكون والتكليف» ولكن هذا الخيام يبدي لنا صورة اخرى من افكاره في الرباعيات فتسميها الآراء التحررية في عصر الجمود ثم ظهر حافظ الشيرازي الذي لقّب بشارح افكار الخيام فهذه الورقة البحثية تتكفل دراسة تطبيقية فيما بين رباعيات الخيام والشاعر العراقي الزهاوي ونكشف فيما بينهما من نقاط مشتركة ومختلفة ومدى تأثر الزهاوي من الخيام حيث نصل إلى هذه النقطة الهامّة أنَّ البشرية مهما اختلفت لغاتهم لكنَّهم يشتركون في أمور كثيرة نبينها من خلال هذه الورقة وما أحوجنا اليوم لهذه الدراسات التي تقرِّب الأمم وترفع الحقد والضَّغناء العالقة نتيجة التَّباعد الفكري.

## الكلمات الرئيسة

الخيام، الرُّباعيات، الزهاوي، الفلسفة الخيامية.

---

* الكاتب المسؤول
Email: Abdolrezaattashi2014@gmail.com

Archive of SID
www.SID.ir

**مقدمة**

عاش الحكيم عمر الخيام النيسابوري في القرن الخامس الهجري القمري وكانت حياته تقارن الدولة السلجوقية في ايران والرّجل قد ترك بصمة علمية تبقى خالدة في الآثار العلمية في الرياضيات والجغرافيا والفلسفة والأدب، عندما ندرس آثاره الفلسفية والأدبية نجد أنَّ له آراء وأفكاراً متناقضة لأنه في رسالة الكون والتكليف يثبت لنا وجود الخالق ويذكر كيفية اثباته ولكن في البعض من رباعياته وفي النظرة الأولى قد تتعارض مع تلك الآراء. فهذه الازدواجية التي نجدها في رباعيات الخيام قد أنتجت دراسات عديدة على مرّ العصور ومن بين هؤلاء الزهاوي الشَاعر العراقي المعاصر الذي تأثّر من الخيام بصورة واضحة ونجد هذا التأثير عندما يعرّب رباعيات الخيام نثراً ونظماً وأيضاً عندما ينظم رباعياته نجد أنَّ في كثيرٍ منها قد استوحى فكرته من مضامين رباعيات الخيام على هذا الأساس بعد ما نتعرف على فكرهما من خلال رباعياتهما تظهر أمامنا الأسئلة التالية فمن خلال هذه الورقة نتداولها.

أسئلة البحث

أ) ما هو الفكر الفلسفيُّ الَّذي تبنَّاه الخيام في رباعياته؟

ب) كيف تأثر الزهاويُّ من الخيام؟

ج) ما هي المضامين المشتركة الكونية عند الخيام والزهاويِّ؟

منهج البحث

هذه الورقة تدرس النّقاط العالقة في البحث على أساس المنهج النَّقلي التَّحليلي.

بيان الموضوع

من خلال هذه الورقة البحثية نرفع الضَّبابية والإبهام عن آراء الخيام والَّتي تبدوا متناقضة مع بعضها والزَّهاوي الشَّاعر العراقي نظراً لحبُّه الشَّديد للغّة الفارسية وبعد سفره الى ايران تعرّف على آثار الخيام فعكف على قراءتها فجلبت للزهاويِّ هذه المعرفة بهذه الشخصية نوعاً من الانبهار فظهر هذا الانبهار بالاشتراكات الفكرية والَّتي تجلَّت لنا في موضعين: الموضع الأوَّل: هو تعريب الزّهاويِّ لرباعيات الخيام نظماً ونثراً والَّتي هي من أجود

Archive of SID

www.SID.ir

التَعريبات الموجودة؛ لأنّه قد عرّف مغزى أفكار الخيام وذكر تلك التعريبات «حسين بكار» في كتابه «رباعيات الخيام في ضيافة الشعر العربي» (١٣٨٣هـ) الموضع الثاني: نظم الزهاوي رباعيات عربية بمضامين مشتركة مع رباعيات الخيام فاختزلنا من هذه الرباعيات المشتركة المضامين ستة اتِّجاهات فكرية واضحة وهي بما يلي:

١. الشَّك والحيرة حول الحياة والآراء العلمية حولها

٢. رجوع الاجسام وتبديلهن الى الفخار

٣. مكانة الخالق

٤. المعاد وكيفيته عندهما

٥. ثمن العقل الانساني في المعرفة

٦. الجبر والاختيار.

أهمية البحث

تتجلَّى أهمية دراسة هذه الورقة البحثية والَّتي تعدُّ من الدِّراسات التَّطبيقية في مجال الفكر والأدب بينَ الأُمة الفارسية والأُمَّة العربية ونظراً لدور الدَّراسات التطبيقية في التقريب فيما بين الشُّعوب فإنَّ هذه الدَّراسات تقوم بسدِّ الثَّغرات الثَّقافية فضلا عن إيجاد الوئام والإخاء والتَّقارُب.

خلفية البحث

هنالك دراسة تطبيقية باللغة الفارسية أجريت ضمن رسالة لنيل درجة الماجستر في الأدب العربي بجامعة كردستان تحت عنوان: تأثيرات فكري وادبي خيام بر زهاوي تحت إشراف الدكتور عبدالله رسول‌نژاد والدُّكتور نجم الدِّين جبَّاري وغير هذا البحث فما وجدنا بحثا آخر يعالج الموضوع تطبيقيا لكن هنالك محاولات فردية باللغة العربية والفارسية والإنجليزية قامت بدراسة وترجمة وشرح وتعليق على نتاجات الخيام والزَّهاوي كلٍّ واحد منهما على حدة ومنها يلي:

من الغرب يعدُّ فيتز جرالد (١٨١٨-١٨٨٣م) أول من اهتم بالخيام فكرياً وأدبياً فعرَّب رباعياته إلى الانجليزية وعرّف للقارئ الغربيِّ تلك الافكار والآراء بذلك التّعريب حتى انَّ العرب تعرّفوا على الخيام عبر تلك الرباعيات المعرّبة إلى الإنجليزية. وأمّا في الأدب الفارسيّ ناقش الدشتي بكتابه المسمَّى دمي با خيام (١٣٥٦ش) الاتّجاهات الفكرية والأدبية للخيام فقد اتاح للجمهور الإيراني فرصة كبيره للتعرّف على هذه الشخصية الفكرية والأدبية

Archive of SID

www.SID.ir

إذ قام ببحث دامغ دقيق لدراسة الخيام وحدّد رباعياته في ٥٦ رباعياً ثمّ شمّر عن الذّراعين للبحث المعمّق حول الأفكار الفلسفية للخيام؛ العلّامة الجعفري في كتابه المسمّى "تحليل شخصيت خيام" (١٣٧٢ش) من الناحية الفلسفية ثم كتب الدكتور علي اكبري مقالاً «نگاهي اجمالي بر مضامين مشترك در زبان عربي وفارسي» في مجلة الدّراسات الأدبية في لبنان حول تأثير أدب وأفكار الخيام في الأدب العربي وأيضا هنالك الكثير من البحوث والدراسات الأخرى باللغة الفارسية حول الخيام فإذا ما ذكرناها نحتاج إلى مقال يخصُّ هذا الموضوع ولا مقتضى للحال وأمَّا الدِّراسات العربية الَّتي تناولت عمرالخيام ورباعياته نجد أسماء لامعة قد اهتمت بتعريب رباعياته مثل احمد رامي (١٩٨٣-١٩٨١م) الذي تعرف على رباعيات الخيام عبر ترجمتها الفرنسيه من المستشرق الفرنسي نيكولا، فاهتم احمد رامي بتعريبها بالقالب الرباعي فدرس المخطوطات التي حصل عليها من المكتبات الفرنسية والانجليزية وبدأ عمله عام ١٩٢٣ وعرّب ١٦٨ رباعياً على البحر السَّريع وطبعها في لبنان للمرة الاولى وطبعها للمرة الثانية في عام ١٩٣١ في مطبعة دار العودة؛ بيروت وايضاً طبعها عام ١٩٨٥ في مصر مع باقي آثاره في منشورات غريب في القاهرة وايضاً نجد احمد صافي النجفي (١٨٩٧-١٩٧٧م) الذي تعرّف على رباعيات الخيام عبر ترجمة وديع البستاني وبعد أن سكن في طهران عام ١٩٢٠ حتى سبع سنوات فكرَّس في تلك الحقبة عمله لثلاث سنوات على تعريب الرباعيات فعرّب ٣٥١ رباعياً من مصادر مختلفة للخيام وحافظ أحمد صافي النجفي على وحدة الموضوع في الرباعيات نظراً على تعرفه وإتقانه الأدب الفارسي بصورة جيدة خلافاً لسائر التعريبات التي صدرت من الأدباء المعاصرين العرب الذين لم يراعوا ذلك الموضوع في تعاريبهم ولكنَّه استعمل البحور الصعبة العربية في تعريب الرباعيات إذ جعله مرماة للنقد الواسع من قبل المنتقدين.بعد ذلك قام الدكتور محمد غنيمي هلال في آثاره المنتشرة لمجلة الدراسات الأدبية خريف (٢٠٠٩م) بكشف مدى تأثر الزهاوي بالخيام وتبنَّى دراسة البنود المشتركة الفكريه بينهما وآخرًا وليس أخيراً نذكر جماعة الديوان في هذا المضمار لقد تأثرت بالخيام في نشر افكارها ومن بينهم الزَّهاوي في كتابه «نصوص ودراسات» فإنَّ الرَّجل تخصص في أفكار الخيام واستخدمها في رباعياته العربية وبصورة غير مباشرة في تعريبه تلك الرُّباعيات الفارسيه لكنَّ حتَّى الآن لم نجد أعمالاً أدبية باللغة العربية ذات شأن علمية قامت بالتَّقارن بين الخيام والزهاوي كي نتمكن من نقدها ودراستها ولكن هنالك دراسات أعتنت بهما بصورة منفردة وأدت عملها رائعاً.

Archive of SID

www.SID.ir

**تمهيد على الدِّراسات المقارنة**

ظهرت إرهاصات الأدب المقارن نتيجة ظاهرة التَّأثير والتَّأثر بين الآداب المختلفة وأوَّلُ إرهاصات الأَدب المقارن حدثت حينما غزى فيها الرُّوميون اليونانيين واحتلوهم عسكرياً عام ١٤٦ قبل الميلاد فقد قابل اليونانيون الرُّوميين باحتلال ثقافي أدبي فقد صار كلٌّ من الأدب والفلسفة لليونانيين مرجعاً لفلسفة وأدب الروميين فقد تأثَّر الروميون بالمسرح اليوناني. تأثَّر المسرحي التَّراجيدي الرُّوماني (سينيكا) من المسرحيين اليونانيين التَّراجيديين أمثال: سوفوكليس ويوريبيدس واسخيليوس وحاكاهم وحاكى بعض أساليبهم في المسرح وغيره. (بكادي، ١٩٨٣: ٢٥) وبالرغم من المحاولات المقارنية العديدة بين الآداب في السَّابق إلا أنَّ ملامح هذا العلم بمدلولاته الحديثة لم تظهر إلا في سنة ١٨٥٧م. في فرنسا وذلك حين بدأ المقارني الفرنسي "آبيل فيلمان" Abel villemains الذي كان أول من استخدم "الأدب المقارن "وإليه يعود وضع الأسس الأولى لهذا الفرع المعرفيّ الأدبي يقوم بإلقاء محاضرلت في جامعة سوريون حول علاقة الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية متناولا فيها التَّاثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي والأدب الانجليزي وتأثير الأدب الفرنسي في إيطاليا في القرن الثَّامن عشر. (كلود بيشوا، ٢٠٠١م: ٣٥) ويرى الدكتور محمد غنيمي هلال أنَّ الأدب المقارن قد نشأ في القارة الأُوروبية؛حيث اكتمل مفهومه؛ وتشعبت أنواع البحوث فيه وصار له أهمية بين علوم الأدب لا تقل عن أهمية النقد الحديث؛ بل أصبحت نتائج بحوثه عماد الأدب والنَّقد معا. (غنيمي، ١٩٨١: ٢٠) وأمَّا الأسباب الَّتي لظهور الأدب المقارن في فرنسا قبل غيرها من الدُّول الأُوروبية فيرجع لعدة عوامل كانت مؤاتية في تلك الفترة في فرنسا ومنها الثقافية والاجتماعية والسِّياسية والَّتي من أهمها:

أولا: أن المناخ الثقافي الفرنسي كان مسعداً منذ العصر الكلاسيكي لممارسة البحث الأدبي المعمق.

ثانيا: تنبَّه الفرنسويون قبل غيرهم من الأُوروبيين إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبيم المناطق الأُوروبية الأخرى.

ثالثا: الرغبة الشديدة للفرنسيين في استرجاع مكانة فرنسا الثقافية الماضية.

هذه الورقة البحثية لقد اكتملت فيها شروط المدرسة الفرنسية للدراسة المقارنة ومنها: أن تكون الدراسة بين أدبين قومين أو أكثر ولا تكون إلّا في مجال الأدب وأن يتوفر الرَّابط

Archive of SID

www.SID.ir

التأريخي بين العلمين الأدبيين وهو أنَّ ثبت تأريخياً أنَّ أحدهما تأثَّر بالآخر. (عبده، ١٩٩٩: ٣٢) وبما أنَّ الزَّهاوي من خلال ترجمته رباعيات الخيام إلى العربية لقد تأثَّر بأدبه وأفكاره.

الجانب التأريخي من هذه الورقة التّطبيقية في التَّأثير والتَّأثر

عند الرجوع الى أفكار الخيام ونظراً لتعرّف الزهاوي على اللغة الفارسية وسفره الى ايران وحضوره في الحفل التأبيني السنوي للشاعر الايراني فردوسي وزيارة قبر الخيام نجد للأدب الفارسي بصورة عامَّة وللخيام بصورة خاصَّة تأثيراً كبيراً في شخصية الزهاوي كما نعرفه فالخيام قد فعّل نشاطات الزهاوي فمثلاً يعتقد الخيام في باب التَّحرُّر الفكري والتّغيير وإرادة الإصلاح على أساس من التّقدُّم فيقول ما يلي:

گر بر فلكم دست بدي چو يزدان — بر داشتمي من اين فلك راز ميان
وز نو فلكي دگر چنان ساختمي — كا زاده به كام دل رسيدي آسان

(المنصور، ١٣٧٨: ٢٠)

فالزَّهاوي قد اخذ تلك الفكرة المستمرة التحررية التي يدعو الإنسان إليها ويطلب أن ينفك البشرُ عن القيود ويثور على العادات والأفكار المتخلفة فينشد:

سِيرُوا الى غاياتِكمُ في جرأةٍ — كالسَّيلِ هَدَّاراً وكالإعصارِ
ثُورُوا على العاداتِ ثورةَ خانقٍ — وتَمَرَّدُوا حتَّى علَى الاقدارِ

(الفاخوري، ٢٠٠٨م: ٤٢٥)

لذا جاءَ الزهاوي وعمل على احياء فكر الخيام حتَّى قيل « ما يتداعى لذهن القارئ بعد قراءة اشعار الزهاوي يظنُّها رباعيات الخيام. (الرشودي، ١٩٦٢م: ٣٢٣) فكان يزعم أنَّ فكر واتِّجاهات الزَّهاوي هي مزيج من عدة موارد ذكرناها لكن هذا المزيج قد عرَّفه الزَّهاوي بنفسه حيث قال كنت في صباي أُدعي بالمجنون لحركاتي الغير المألوفة وفي شبابي بالطائش لخفتي وايغالي في اللهو وفي كهولتي بالجري لمقاومتي الاستبداد وفي شيخوختي بالزِّنديق لمجاهرتي بآرائي الحرة الفلسفية المخالفة لآراء الجمهور. (الرشودي، ١٩٦٢: ٤٦) و«الظَّاهرة الَّتي نستطيع أن نراها بوضوح في شعر الزَّهاويِّ هي النّزوح إلى الحريِّة وإباة الضَّيم والثَّورة على الواقع المردي وعلى نمط الفكر والحياة وإنَّه من أوائل المناظلين من أجل الحريِّة والمتمردين على الجور والظُّلم والاستبداد وكان شغوفاً بالحريِّة إلى حد بعيد» (محمدزاده، ١٤٣٦: ١٦٢).

Archive of SID

www.SID.ir

**الخيام الفيلسوف**

الشَّخصيات الفذة الأدبية دائما تقع مطمحا في متناول الأدباء والكتّاب في العالم لأنّها بفكرها وأدبها اجتازت الحدود الإقليمية فأصبحت مادّة ثرّة للباحثين في جميع الأديان واللغات فهذا الخيام بغزارة فكره واتّجاهاته وأدبه كالطّائر في سماء الأدب لا ترى له حدوداً محلقا فهو أبو الفتح عمر بن ابراهيم الخيام النيسابوري ولد في شمشاد في نيسابور وتفنن في علومٍ شتى مثل الرياضيات والجغرافيا وغيرها من العلوم الانسانية تزامنت حياته مع سيطرة السلاجقة على مناطق كثيرة من ايران وهؤلاء السلاجقة كسابقيهم من الغزنويين قد حرّضوا العلماء والأُدباء على نشاطاتهم ولكن ضمن الأُطُر السِّياسية والدينية ونجد الخيام لقد تأثَّرَ من هذا التأثير السِّياسي في بعض النشاطات العلمية مثل تأليف التقويم الجديد لكنّه أخذ يدرِّس أفكاره بحرية لكن لاقى عدم استقبال النّظام السِّياسي للسلجوقيين إزاء افكاره ورواؤه الجديدة والتَّحرُّرية فنجده بعد ذلك يأخذ الحذر ولم ينشر اي أثر فكري يظهر اتِّجاهه التحرري الجديد آنذاك. ولابُدّ من التعرف على المدرسة الفكرية للخيام في الفلسفة فضلا عن الغوص في رباعياته، فلسفة الخيام هي عبارة عن فلسفة وفكر واضح وغير غامض إذ هي تابعة لفلسفة المدرسة المشائية؛ لأنّه كان من تلاميذ ابي علي سينا الفيلسوف وكان يلقب بـ «تالي تلو» ابن سينا، (جعفري، ١٣٧٣: ١٢٣) لذا نجد الخيام في رسالته «الكون والتكليف» في موضوع إثبات الله يبدئ آراء مشائية في باب «الماء» «هل» «لِمَ» ففي هذه الأبواب يقول انَّ الاشياء في الكون على القسمين التاليين:

القسم الأول: وهو الذي لابدّ له أن يكون حتى يكوِّن سائر الأشياء فيسمَّى العلة.

القسم الثاني: هو الذي يكون معلولاً للقسم الاول.

فالخيام يجيب على السؤال التالي: هل الخالق موجودٌ ؟بما يلي يجيب نعم؛ الخالق هو القسم المكوّن والمخلوق ذلك القسم الذي يتكوّن وطريق الوصول لجوهر هذه الإجابة هو الفكر والاستدلال المنطقي والمشاهدات التَّأملية وبعد اثباته وجود الخالق والأشياء يطرح السؤال التالي بما يلي: ما هي العلاقة فيما بين الله والأشياء؟ فيجيب أنَّ الاشياء تكون بعد الله في المرتبة في الخلق والسبب هو الفيض الرباني الذي أفاضهُ الله على الاشياء فالخالق هو رأس الهرم في الكون والأشياء تقع في المراتب الأخرى.

كان الخيام من المفكرين والفلاسفة في القرن الخامس وله آثار علمية وفلسفية وأيضاً له

Archive of SID

www.SID.ir

الآثار الادبية وهي الرباعيات فالخيام نظراً إلى آرائه الغير مألوفة التي يطرحها في الرباعيات كان يتهم من قبل معاصريه وحتى من بعده بالزندقة والإلحاد ولكن هذه التهم ما كانت هي إلا نوع من سوء الفهم حيال افكاره المطروحة في الرباعيات والحقيقة ان الخيام كان يريد للإنسان عدم الاكتفاء بالإيمان الّذي مصدره التّقليد فالخيام أصبح محطاً لنقاش الأُدباء والمفكرين في كل زمان لأنّه في عرض أفكاره جريئاً فضلا عن تساؤلاته الحادّة حول فلسفة الخلق والإتيان إلى عالم الدّنيا والموت فهو أصبح مشهوراً لأدبياته الّتي جاء بها في ثوب جديد من عرض افكار تهمُّ كلَّ إنسان فهذه الطّريقة وهي الرّباعيات في ثوب فلسفي يلتمس من ورائها دعوة الإنسان في كلِّ زمان إلى التّأمُّل ملياً في العالم والكون ليصل الإنسان من وراء البحث فيما أورده حول موضوعات شتى يخرج من ربقة الإيمان التقليدي فبهذا السّبب من قبل البعض يتهم بالزّندقة فنحن لم نجد له إنكاراً للمبادئ الّتي تسبب كفر الإنسان كإنكار الخالق أم العالم الآخر فهذا الخيام قد أثّر على أشخاص بارزين كالحافظ الشيرازي كان يلقب بشارح أفكار الخيام وفي الأدب الغربي نجد جرالد قد تأثر بتلك الافكار واندهش كثيراً وجاء بخطوة عظمى في ترجمة الرباعيات وفي الادب العربي نجد الزهاوي من المكتب الإحيائيين فتأثر بصورة مباشرة فاتجه اتجاهين أولاً: في تعريب رباعياته نثراً ونظماً؛ ثانياً: ادخل اتِّجاهات افكار الخيام إلى اشعاره فوجدنا تلك البنود الستة الفكرية؛ وفي النهاية وجدنا الزهاوي قد أحيى أفكار الخيام ونقلها إلى الأدب العربي.

وللخيام حول سبب الخلق رأي خاص وفكرة رائعة ومنها أنَّ الفيض الرباني الصادر من اللهِ هو الدليل الرئيسي للخلق فالله يفيض على المخلوقات لذا فهو الكون المطلق الذي يمُنُّ على المخلوقات بالفيض عليهم ويخلقهُم، بعد هذا كله يقول الخيام إنَّ التكليف المقرر على المخلوق هو الواجب الذي لابدَّ ان يؤدِّيه إزاء الخالق. هذه نبذة وجيزة من آراء الخيام الفلسفة المذكورة فمن هنا نستنتج أنَّ للخيام مدرسة فلسفية واضحة لذا فتسقط من الإعتبار العلمي تلك الاتهامات الَّتي وجِّهت له الإلحاد والزندقة والكفر وغيرها من التُّهم الّتي الصقت بشخصيته العملاقة ويمكن القول أنَّ تلك الاتِّهامات هي نتيجة لبعض الرباعيات المنسوبة اليه ولم ير أولئك الأشخاص الَّذين رموه بالاتهامات رباعياته الحقيقية فالآراء التي ابداها الخيام في رسائله الفلسفية حول الخالق والقدرة الرَّبانية والخلق ممَّا تفنِّد تلك المزاعم.

Archive of SID

www.SID.ir

## جميل صدقي الزَّهاوي وأدبه

ولد الزَّهاوي الشَّاعر والفيلسوف العراقي ببغداد عام ١٨٦٣م. وتوفي عام الزَّهاوي كان ينتمي إلى عشيرة الزهاوي هي احدى عشائر الكردية المعروفة في كردستان العراق وكان يتكلم عدة لغات كاللغة العربية والكردية والتركمانية والفارسية ١٩٦٣ وقد تكفَّل ابوهُ تربيته والذي كان مفتي بغداد في تلك الحقبة فكان الزَّهاوي يقبل على تعلُّم العلوم المختلفة وكان ابوه يرشده ويساعدهُ في هذا الطريق نظم الشعر بالعربية والفارسية منذ نعومة أضافره وأدرك والد الزهاوي أنَّ ولده "ميل" يمتلك سرعة الفهم والنُّبوغ وقوة الذهن وأتَّضح له بأنّ ابنه كان يختلف من بين سائر اولاده لذا كرَّس اهتمامه يتأمّل وصوله إلى المراتب العليا فحرص على تربيته وقد علَّمه الفلسفة والدين وثقفَّه بالثقافة الاسلامية وعلَّمه اللغة الفارسية فضلاً عن العربية فكانت العائلة هي المنطلق الأوَّل للزهاوي في سيره نحو الرُّشد والكمال ولا ننس دور المرأة في حياته العائلية فالأمُّ اولاً والزوجة ثانياً لعبتا دوراً اساسياً في نمو شخصيته وفيما يلي نشير إلى نبذة من اِتِّجاهات الزَّهاوي فيما يلي:

رؤية الزهاوي حول المرأة

أنـــــت للشـــــعبِ كلِّـــــه أمٌّ ... فـإذا أهنـتِ هـانَ لـو طبـتِ طابَـا
إنَّمـــا الصَّـــدرُ منـك يحمـلُ الطـــ ... ـــطفلَ غـــذاءً وحكمـــةً وشَـــرابا
يتلَّقـــــــى عليـــــــه أوَّلَ درسٍ ... فهُـــوَ للطفـــلِ لـــيسَ إلّـــا كتابـــاً
منـــك قبِـــلَ الجميـــعُ وهُـــو صـــبيي ... تلقـــــى الفنـــــونَ والآدابَـــــا

(نيازي، ١٣٨٨: ١٣)

فيذعن الزَّهاوي بتأثير المرأة على المجتمع كافَّة إذ يقول أنت أمٌّ لجميع الشَّعب فإذا أصابك ضعفاً وخمول انتقل ذلك الضَّعف إلى الشعب فيصاب بالهوان فيرى الزهاوي أنّ للمرأة دوراً مهماً في الهداية والتّأثير على المجتمع إيجابا وسلبا وفي البيت الثاني يصف المرأة ويقول إنَّ صدرك الرحب هو الذي يغذِّي الأطفال غذاءً وعلماً وأخلاقاً وهذا صدر الأُم هو الذي يحمل الإنسان منذ صغره إذ هو منبع العلم والعاطفة للبشرية.

الاتِّجاه السِّياسي للزَّهاوي

حياة الزهاوي واكبت احداثاً سياسيةً فالمرحلة الاولى من حياته لقد زامنت حكم العثمانيين الذين كانوا لا يهتمون بالأدب العربي كثيراً ولا يعيرون له وزناً ويعتقدون ان الحكم في بلدٍ

Archive of SID

www.SID.ir

مثل العراق يجب أن يكون استبداديا فالزَّهاوي نظراً الى ثقافته العالية أخذ موقفاً مُشرِّفاً إزاء هذا الاتِّجاه فخالف ذلك الظُّلم والاستبداد ولكن كان في بعض الأحيان لأسباب كان يجاري الحكم في بعض الأحيان لذا من أجل التَّخلص من مواقفه السُّياسية أرسل من قبل الحكومة الى اليمن للمفاوضات ولإخماد بعض الثَّورات التي حصلت هناك وبعد الرُّجوع إلى بلده درَّس الفلسفة في المدرسة الملكية فأنشد الزهاوي في تلك الفترة قائلاً:

مَن كانَ يؤمِنُ بالنَّبي محمَّد ... وبِمَا أتى في منزلِ القرآنِ
علِمَ اليقينَ فأنّهُ في دينِهِ ... وَجِبت عليه طاعةُ السُّلطانِ

(جميلي، ١٣٦٩: ١٦٩)

في البيتين المذكورين أعلاه يفصح الزهاوي عن اعتقاده بالسلطان فيقول إنَّ الذي يؤمن بنبوة الرسول الأكرم ﷺ وبأحكام القرآن الكريم ليعلم علما يقينيا أن طاعة السلطان والحاكم العادل الذي بيده السلطة أمر وجوبي لكنَّه لم يفصح لنا الزَّهاوي أنَّ طاعة السُّلطان الَّتي يدعو إليها في هذين البيتين كم يكون مداها وإلى حدٍّ تعمل النَّاس بأمر السّلطان وهل أنَّ للسلطان أمرٌ في دين النَّاس أم في الشؤون العامَّة وكم يكون حدود هذه الإطاعة.

وفي عام ١٨٨٦م أصبح عضواً في مجلس معارف بغداد وسافر الى الآستانة ودرّس الفلسفة الاسلامية في المدرسة الملكية ومن أبرز صفاته حبُّ الحرية وتداول الآراء الجديدة حول المسائل الاجتماعية وأيضاً من سماته السّياسية الأصلية حبُّه ودفاعه عن الوطن كان الزهاوي معروفا على مستوى العراق والعالم العربي كان جريئاً وطموحاً وصلبا في مواقفه، فاختلف مع الحكّام عندما رآهم يلقون بالأحرار في غياهب السجن وتنفيذ أحكام الإعدام بهم فنظم قصيدة في تحيّة الشهداء مطلعها:

على كل عود صاحب وخليل ... وفي كل بيت رنة وعويل
وفي كل عين عبرة مهراقة ... وفي كل قلب حسرة وعليل
كأن الجدوع القائمات منابر ... علت خطباء عودهن نقول

(عبدالغني، ١٩٥٨م: ١٨٠)

فيقول الزَّهاوي إنَّ رفاقه وأصدقاؤه في الكفاح السِّياسي لقد أعدموا بالمشانق ولذلك نسمع البكاء والصُّراخ في كلِّ بيت من العراق ويبكي كلُّ النَّاس عليهم حسرة وحرقة ثمَّ يشبِّه الألواح الَّتي عليها أُعدم رفاقه بالمنابر صعد عليها هؤلاء المقاومون.

Archive of SID

www.SID.ir

الاتِّجاه الأدبي للزَّهاوي

كان الزهاوي ينتمي الى المدرسة الاحيائية من الادب العربي المعاصر ومن اعظم سمات هذه المدرسة هو إحياء الأدب العربي؛ لأنّه تزامنت حياته بين الفترة والنهضة المعاصرة فالإحيائيون كانوا يأخذون اتِّجهاتهم الفكرية من منابع شتى مثل الادب العربي القديم ويتأثرون بالفعل من الاحداث اليومية المتغيرة ومن الأدب الغربي الذي ساعد على رواجه الانفتاحُ الذي حصل في تلك الحقبة فالزهاوي كان قد تأثر من العوامل الاجتماعية والسياسية التي حدثت آنذاك وله حظٌّ كبير من الادب العربي القديم واستمدَّ ثقافته من الادب الفارسي والمعرفة الغربية التي حصل عليها من خلال مطالعته لبعض آراء الفلاسفة الغربيين ومنهم داروين الزَّهاوي له آثار مثل: "الكائنات في الفلسفة" و"الفجر الصادق للرد على آراء محمد بن عبدالوهاب" و"الكلم المنظوم" وهو أوّل ديوان شعر للزهاوي وأيضاً له رباعيات عربية بمضامين خيامية وهي التي تأثر بها من الخيام وله تعريب على رباعيات الخيام وشكل جمعية أخوان الادب في بغداد عام ١٩٢١م. ومن ابرز اعضائها ساطع الحصري ومعروف عبد الغني الرصافي وآخرون وعام ١٩٣٢م. وحينما زارت كوكب الشرق السيدة ام كلثوم بغداد رحب فيها الشعراء ومنهم جميل صدقي الزهاوي وأدت بعض أغانيها في أوتيل الهلال بميدان بغداد بشارع الرشيد وقد حياها الزهاوي بقصيدة جاء فيها:

الفن روض أنيق غير مسؤوم ... وأنت بلبلة يا أم كلثوم

قالوا كفرت ولم أكفر كما زعموا ... أكل من قال حق بيننا كفرا

(الأعظمي، ٢٠٠١م: ١٣٨)

فالزَّهاوي بالمقدرة العلمية الَّتي يمتلكها لقد شبَّه الفن بالرَّوض الأنيق الجميل المحبوب لدى الجميع بعد ذلك لقد شبَّه أمّ كلثوم بالبلبلة الَّتي تغرد وتطرب الأسماع لكنَّه في البيت الثَّاني يردُّ على منتقديه الَّذين اتَّهموه بالكفر فإنَّه يقول إنَّني لم أكفر كما قالوا بل إنَّه يعتقد بإن يقول الحقَّ.

الزَّهاوي ورؤيته حول الغرب

الصفحة الثانية في حياة الزهاوي قد ابتدأت عندما احتل الإنجليز العراق فنجد له بعض المماشاة مع الانجليزيين فيحسبهم أصدقاء للشعب العراقي وهم الذين ينجون البلد من حكم العثمانيين فيقول في هذا الصدد أنَّ العراق بفضل الإنجليز تحرَّر من هيمنة العثمانيين

Archive of SID

www.SID.ir

وأنَّ الأُقوام تحررت ومن بعد ذلك هذه الأقوام سترتقي إلى العلي لذا يقول فيما يلي:

لا حربَ من بعدِ هذا اليومِ تضطَرِمُ ... وقَــد تحــرَرَت الاقــوامُ والأمــمُ
إنَّ العــراقَ بفضــلِ المنقــذينِ لــهُ ... سَــيرتقي بعــدَ أعــوامٍ وينــتظمُ

(الأعظمي، ٢٠٠١م: ١٠٣)

نؤكد أنَّ هذا التغيير السَّريع في الآراء السياسية عند الزَّهاوي كان في الخارطة الأدبية عند الإحيايين مثل احمد شوقي، حافظ إبراهيم، الرَّصافي والذين كانوا ينتمون الى ذلك المذهب الأدبي والباعث في ذلك هي الاحداث السياسية المتتابعة التي حدثت آنذاك الى ذلك التَّغيير السَّريع في الآراء فهم نظراً للأوضاع السِّياسية والاجتماعية الّتي حدثت آنذاك يتّخذون تلك المواقف لكنَّ الزَّهاوي قد افرط في هذه الحركة حتى انشد قائلاً في الحفلة التي اقيمت للمستشار الانجليزي:

ارأف بشــــعبٍ قَــــد قَصــــدُوا ... إثــارة الشَّــرِ فيــه وهــوَ مَــا قصــدَا
أمَــا وَقَــد جِئــتُ مصــحُوباً بمقــدرةٍ ... فَــلا أبــالَي أقَــامَ الشَّــرَ أم قَعَــدا

(الزَّهاوي، ١٩٧٩: المقدمة)

كان الزهاوي قد تأثَّر من ابي العلاء المعري في كثير من آثاره الادبية مثل قصيدة «ثورة في الجحيم» التي تقع في ٣٤٥ بيتاً وفي طريقته لبيان آرائه ايضاً تأثَّر من المعري فمثلاً نجده في بعض اشعاره يتأثَّر في صدر البيت من الخيام في التَّمرد والتَّجدد ولكن في عجزه يسير في طريقة ابي العلاء في عدم اللجوء الى التَّلذذ او الدَّعوة الى شرب الخمر.

الزَّهاوي وحجاب المرأة

بعد ذلك نجده يتأثَّر من قاسم امين المتفكر المعاصر الذي أخذ اتِّجاهاته الفكرية من الثقافة الغربية والإسلامية وخلطها معاً لذا فنجد تأثيراً خاصاً على الزَّهاوي في باب تحرير المرأة وحقوقها. (مجله پژوهشي زنان، ٨٦: ١٥٧) فيقول الزَّهاوي في حرية المرأة في الملبس أنَّ سفور المرأة في حد ذاته ليس فيه أي إشكال يؤثر على المجتمع فالسُّفور هو رمز لطهارة المرأة فيقول بما يلي:

زَعَمُــوا انّ في السُّــفُور سُــقُوطاً ... في المهــادي وانَّ فيــه خَرابــاً
كــذّبُوا فالسُّــفورُ عنــوانُ طُهــرٍ ... لــيسَ يلقــى معــرة وارتِيابــا

(نيازي، ١٣٨٨: ١٠)

Archive of SID

www.SID.ir

في الرُّباعي أعلاه يصرِّح الزَّهاوي عن رأيه حول حجاب المرأة وهو رأي نابع عن تأثُّره بالفكر الفلسفي العلماني إذ يقول إنَّ السُّفور هو عنوان طهر وهو بعيد عن رأي الدِّين؛ لأنَّ الشَّرع يوجب الحجاب الظَّاهري والأخلاقي للمرأة. لكنَّ هذه الرُّؤية إزاء الحجاب ربَّما وليدة صراعات فكريِّه وكانت في مساحة زمنيِّة معينة والدَّليل على ذلك بما يلي «يحوي ديوان الزَّهاويُّ وجبة وافرة من الدَّلالات والمفردات القرآنيِّة فقد استطاع الشَّاعر أن يستلهم من القرآن الكريم في أشعاره ويتناص مع القرآن الكريم بصور مختلفة منها الامتصاص والإشاري والشَّكلي والكامل والجزئي منه دلالياً وشكلياً ليزيد أشعاره جمالاً وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدلُّ على مدى إيمانه وبيئته الدِّينيِّة» (محسني، ١٤٣٤: ١٧٢).

الزَّهاوي وفلسفة الغرب

أيضاً نجد أنَّ الزهاوي قد تأثَّر من أفكار داروين حول التكامل فيقول إنَّ بعض النَّاس هو مفترِس بقوته يفترس الآخرين وهنالك ثلة من النَّاس ليست لهم القدرة الكافية للدفاع عن أنفسهم فهؤلاء من النّاس هم فريسة للأقوياء وهذا الأمر هو كان سائدا مذ جاء البشر على هذه الأرض فهذه هي سنة ربانية لا تتغير فيقول الزهاوي فيما يلي:

إنَّمـــا النَّـــاسُ إن نظـــرتَ إلـــيهم ... آكـــلٌ في الحيـــاة أو مـــأكولُ

هـــذه مُنـــذ كانَـــت النَّـــاسُ نَاســـاً ... ســـــنةُ اللهِ مَالَهـــــا تبـــــديلُ

(الزَّهاوي، ١٩٦٧م: ٣٠)

لكن في البيتين أعلاه يعرب الزَّهاوي عن رأيه حول علم النَّفس الاجتماعي بالنِّسبة للإنسان فيقول إنَّ الإنسان وحسب طبيعته إمَّا ظالما وإمَّا مظلوماً وهذا الأمر هو منذ أن خلق الإنسان لكنَّه في الشّطر الثَّاني من البيت الثَّاني يقوم يذكر اسم الجلالة "اللّه" فيقول هذه هي سنَّه اللّه الَّتي أودعها في الإنسان وهو الجانب الأخر فيكون الإنسان إمَّا شكوراً وإمَّاً كفوراً ظلوماً.

## خيام الرباعيات

حينما نتمعن في رباعيات الخيام الاصيلة والَّتي تتناسب مع شخصيته ومدرسته الفلسفية نجده متحرراً في بيان افكاره من القيود في الابواب الفلسفية وله نظام فكري به هذا مِمَّا جعله أحد الأركان في الفلسفة المشائية؛ لأنَّه يبرز آراءه بحرية حيث يفهمها الخواص والعوام خاصة وله بنود فكرية واضحة نختزلها من رباعياته المستندة إليه فنلخصها على الرُّؤى التَّالية:

Archive of SID

www.SID.ir

الخيام وحكمة الوجود

تجد الخيام في هذه الفئة من الرباعيات تنتابه الحيرة المتواصلة إزاء موضوع حكمة الموت بعد هذه الحياة فيقف موقف المتسائل أنَّ هذا الَّذي هيمن على البشرية ليس له نهاية ولا تجد أحداً يقول قولا واضحاً وقويما أنَّه لماذا جئنا ثُمَّ ننتقل فيقول فيما يلي:

دوري كه در آن آمدن ورفتن ماست — آن را نه ابديت نه نهايت پيداست

كس مي نزند در اين معني راست — كاين آمدن ورفتن به كجاست

(دشتي، ١٣٥٦: ٢٧١)

هذا الدّوار الّذي فيه إيابُنا وذهابنا وهذه الحركة الإنتقالية من الدُّنيا إلى الآخرة والّذي يأتي النَّاس إلى الدُّنيا ثم ينتقلون إلى عالم آخر مازالت أبديتها ونهايتها غامضة علينا فلا تجد أحداً يتكلم بجد بأنّه لماذا هذا الإياب والذِّهاب؟ فيأتي أناس إلى الدُّنيا ويذهب آخِرون منها والواقع انَّ الخيام في هذا الرُّباعي وما يشابهه من رباعيات أُخرى لا ينكر الدُّنيا ووجودها أو الآخرة فهو يؤمن بالعالم الآخر ولكن يطرح هذا السؤال الّذي شغل الكثيرين من الفلاسفة فالخيام بهذه الأسئلة يبعث حيرة الإنسان المسلم لتتبع الأجوبة ويحرِّك دفائن العقول في الإنسان أنَّه ما هي فلسفة المجيء ولماذا الذَّهاب؟

بهذا الرباعي المذكور أعلاه يريد من الانسان أن يسترجع إلى مكنوناته فيدعوه للتفكر والتَّأمل في نفسه ويفكر ملياً ليصل إلى البرهان الذي يتوخاه وهو إدراك فلسفة الوجود والحياة والممات فإذا وصل الإنسان بعد التُّأمل والتَّفكر والتّتبع إلى مغزى الجواب لهذه الأسئلة فهو يسلك مسلك الكمال إلى الله ويرى عالم الدُّنيا والآخِرة كلاهما في قبضة قدرة الله تعالى وحكمته لذا تنكشف عوالم كثيرة للإنسان فيغير الكثير من اتّجاهاته وميوله وآماله فتتغير نظرته إلى العالم فيرى حقيقة الله غير ما يراها سطحية مبنية على أساس سطحي دون تأمل وتفكر هذا ما دعا إليه الخيام.

الخيام وحكمة الموت

هذا القسم من البنود يحتوي على أسئلة حول بعض السّلبيات الّتي تنتاب الحياة فيناقش الخيام موضوع الموت بعد الحياة فهو في هذه الفئة من الرُّباعيات يقف موقف المتسائل الجاهل الَّذي لا علم له قائلاً إنَّ الله بعد خلقه للإنسان لماذا جعل في وجوده الموت او الجوع أو العطش والنقوص الأُخرى:

Archive of SID

www.SID.ir

دارنـده چـو تركيـب طبـايع آراسـت | بـاز از چـه فكنـدش در كـم كاسـت
گر نيك آمد شكستن از بهـر چـه بـود | ورنيك نيامد اين صور عيـب كرامـت

(بكار، ١٣٨٣: ٣٠)

الصـــانعُ إذا أحســـنَ في التركيـــبِ | لِـمَ يخـرج نظمَـهُ مـنَ الترتيـبِ
إن ســـاءَ فمَـــن أحـــقُّ بالتَّريـــبِ | أو أحسـنَ مـا الحكمـةُ في التخريـبِ

(الدويب، ١٣٨٣: ٥٦)

الخيام في هذين الرباعيين وغيرهما يطرح أسئلة والحق انَّه لايريد الإعتراض على اعمال الخالق بل الغرض من تلك الاسئلة هو الدعوة الى التَّفكر في جمال أعمال الخالق والدعوة الى البحث والتّفكر والكشف للحقائق الّتي لا تنجلي للإنسان المسلم إلّا بعد التّفكر وهذا ما دعا إليه الأنبياء والصّالحون والنَّبي الأكرم ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام إلى مبدأ التّفكر حتى تحصل للإنسان المعرفة الذاتية الغير موروثة ويتحقق الحديث القدسي "من عرف نفسه فقد عرف ربَّه".

الإنسان والحياة لدى الخيام

الرباعيات من هذا القسم تتعرض إلى الحكم بالفناء على الانسان من هذه الدُّنيا فيطرح الخيام موضوع الفرد والمجتمع ويقول إنَّ حجر الأساس للمجتمعات يقوم على الأفراد؛ إذ يشبِّه الأفراد بقطرات ماء ثم تجتمع هذه القطرات وتصبح بحاراً وفي المصراع الثاني من البيت الأول يستمر في هذا التشبيه فيبوح بهذا المبدأ وهو أن كلَّ إنسان هو ذرة من تربة الأرض ثُمَّ تجتمع هذه الذَّرات فتصبح أرضاً وفي البيت الثَّاني يقف موقف المتسائل الجاهل فيقول أيها الإنسان ما هي الجدوى من إتيانك إلى العالم لذا بهذه الأسئلة الذَّكية والدَّقيقة يطرح الخيام موضوع الموت ويدعو الإنسان ليفكر في فلسفة الإتيان إلى عالم الدُّنيا ثم الخروج منها فيقول فيما يلي:

يـك قطـره آب بـود دريـا شـد | ذره خـاك بـا زمـين يكجـا شـد
آمـد شـدن تـو انـدرين عـالم چيسـت | آمـد مگسـي پديـد وناپيـدا شـد

(دشتي، ١٣٥٦: ٣٤٧)

لذا يقول في الرُّباعي أعلاه أنَّ الفرد من بني الإنسان كقطرة فأصبح بحراً وهو إشارة إلى قيمة الفرد والمجتمع وذرة من التُّربة أصبحت أرضاً ؛فماذا يعني مجيئك في هذا العالم

Archive of SID

www.SID.ir

إنّما أنت ذبابة جئت واختفيت.قال البعض إنَّ الخيام في مثل هذه الرباعيات يعترض على فلسفة موت الشباب الذين لم يدركوا الامتحان الالهي فيسأل الخيام حول الموت والفناء ويقول إنَّ الموت والفناء هو سبيلٌ يمرُّ عليه كلُّ إنسان لذا ينبغي على الإنسان اصلاح أعماله مع النّاس والابتعاد عن المساوئ والكبر.

الخيام والملذّات الدُنيوية

البند المذكور أدناه يدعو الخيام فيه إلى التَّلذذ من مواهب الدُّنيا فهو من خلال ذلك أيضاً يتعرض لموضوع الخلق بيد اللّهِ ثم الرحيل من الدنيا قهراً ثم يدعو الى التلذذ في الدُّنيا ثمَّ يذعن بمبدأ فهو قد يكون بالاجبار:

دهقان قضا بسي چو ما كشت ودرود — غم خوردن بيهوده نميدارد سود
پر كن قدح مي بكفم در نه زود — تا باز خورم كه بودنيها همه بود

(دشتي، ١٣٥٦، ٣٤٧)

الخالق يخلق ما حولنا وقد يغني الكثير لكن الحزن يساير الإنسان في الحياة الدُّنيا دون جدوى ثُمَّ في البيت الثاني يقول املأ كأس التَّلذُذ في يدي سريعاً حتى أتعلل فالخلق محكوم بحكم الفناء فهذا الاتِّجاه للخيام إنَّما يدلُّ بالإيمان بواقع الموت وحقيقته فهو يشير إلى مفهوم الآية المباركة "ولا تنس نصيبك من الدُّنيا".

الخيام وآراؤه العقلية في الحياة الدَّينية والاجتماعية

يدعو الخيام في هذا البند من الرباعيات الابتعاد من العصبيات الدينية والعقائدية التي ليس لها خلفية استدلالية عقلانية ويدعو إلى السِّلم الاجتماعي والأمور الَّتي تجلب نفعاً فيقول فيما يلي:

فصل گل وطرف جويبار ولب كشت — با يك دو سه اهل ولعبتي حور سرشت
پيش آر قدح كه باده نوشان صبوح — آسوده ز مسجدند وفارغ زِ كشت

(دشتي، ١٣٥٦: ٣٦٧)

في فصلِ الربيعِ وجنبِ النَّهرِ/ معَ الأهلِ والأصدقاء وحوريةِ فهات بالكأس وهنالك الشَّاربونَ صَبوحاً/ فنحنُ بعيدونَ عن المساجدِ والمعابدِ الخيام في هذا البند يدعو إلى التَّلذذ من المواهب الطَّبيعة وإشباع الغريزة الجنسية طالما كان فارغاً من العبادة لكنَّه قد يفضِّل

Archive of SID

www.SID.ir

هذا التلذذ على العصبيات الدينيه فهذه العصبيات هي التي قد اتعبت نفسيته ويعتقد أنَّ هذه العصبية تكون كالسَّد تقع حاجزاً أمام الأفكار التقدمية فعلى هذا أساس والمبني الفكري نجد الخيام طوال حياته فاراً من الناس الى الخلوة دائماً بين أهله وعياله.

**دراسة تطبيقية في الإتِّجاهات الفكرية عند الخيام والزهاوي**

بعد التَّعرف على الخيام والزهاوي والخلفية الفكرية الّتي حصل عليها الأوَّلُ تظهر لنا الكثير من الاشتراكات الفكرية عندهما والتي جاءت في الرُّباعيات عند الخيام والمقطوعات والقصائد التي نجدها في ديوان الزَّهاوي فالرباعيات التي هي من اجمل الاوزان الشعرية في الادب الفارسي لها التفعيلات التالية على الأغلب مستفعلٌ، مستفعلٌ، مستفعلٌ فَع. وهنالك للرباعيات من الزحافات والاختيارات التي نجدها في الاوزان العروضية العربية والفارسية. (حكيمي، ١٣٨١: ٦٣٥) فهذا الوزن الشعبي الجميل الذي استخدمه الخيام في بيان افكاره التحررية ولقد أحسن في استعماله فهو قد تكلَّم فيه بصورة أخرى عن ما نجده في آرائه الفلسفية البحتة وبعد الامعان في تلك الرَّباعيات والإحصاء للرباعيات الخيامية وعزلها من الرباعيات المنسوبة إليه نجد ان هذه الرباعيات خالية من الزّندقة والفكر الالحادي والاتهامات التي نُسِبَت الى الخيام ومثل هذه الافكار نجدها على الزهاوي في آثاره الشعرية فتأثَّر بصورة متمايزة من الخيام غير تأثُّره من الشَّخصيات والعوامل الأُخرى والجدير بالذكر انَّ بعض هذه التأثيرات قد انعكست كاملة في آثاره ونسبياً في آثاره الأُخرى ونجد هذه الاشتراكات بينهما في البنود الستة التالية:

الحيرة إزاء فلسفة الحياة لدى الخيام والزَّهاوي

دوري كه در آن آمدن ورفتن ماست — آنرا نه ابديت نه نهايت پيداست

كس مي نزند در اين معني راست — كاين آمدن ورفتن بكجاست

(دشتي، ١٣٦٥: ٣٦٧)

فالخيام الذي عرفناه فيلسوفاً مشائياً وأفكاره التي تعبِّر عن عقيدة اسلامية وذلك الاتِّجاه الدِّيني لماذا يتكلم بهذه الصورة هل يقصد من هذا الكلام يعني انه لم يعرف البداية والنهاية للإنسان؟ والجواب هو انَّ العلوم الانسانية تتغير يوماً بعد يوم على مرّ الزمان وهي في تكامل دائمٍ فعلى الانسان ان لا يكتفي بقدرٍ من العلوم وعليه ان يستثمرها في تكامل تلك

Archive of SID

www.SID.ir

الأفكار ليكشف الغطاء عن هذه الإبهامات الّتي تساور ذهن الإنسان على هذا الأساس في علم الكلام الإلهي هنالك ثلاثة أُصول ينبغي للمؤمن أن يتخطاها إذ هي تشكل الحصيلة المعرفية للإنسان وهي بما يلي:

أولا: يجب أن يعرف مبدأه. بتعبير آخر يلزم على الإنسان أن يعرف كيف ولماذا أتى إلى عالم الدُّنيا وما هي فلسفة إتيانه وما هي أولوياته في الدُّنيا.

ثانيا: يجب أن يعرف أين هو. بتعبير آخر يلزم على الإنسان أن يعرف العالم الذي يعيش فيه وهل تطابقت فلسفة حياته في هذا العالم.

ثالثا: يجب أن يعرف إلى أين بتعبير آخر يلزم على الإنسان أن يعرف منتهاه الحقيقي.

وهذا ما أشار إليه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: رحم الله امرئ أعدَّ لنفسه واستعدَّ لرمسه وعلِم من أين؟ وفي أين؟ وإلى أين؟ (جوادي آملي، ١٣٧٨: ٢٠٦)

والزَّهاوي في هذا الصَّدد ينشد متأثِّراً من رؤية الخيام في معرفة المبادئ الثَّلاثة أعلاه يقول فيما يلي:

ليتني عارفٌ لماذَا حَيينا ... ولماذَا من بعدِ حينٍ نزول
قِيلَ لِي لا تَقُل فكانَ جَوابِي ... أنَا إن لمَ أقُل فمَنَ ذَا يقُل

(الزهاوي، ١٩٧٦: ٤٥)

ويضيف أيضاً فيما يلي:

لستُ أدرِي كخابطٍ في الظَّلامِ ... أوَرَائِي سَعَادتي أم أمَامِي
حِيرةٌ فِي حَياتي صَدَفتنِي ... عَن بُلُوغي في الحياةِ مَرَامِي

(الزهاوي، ١٩٧٦: ٤١)

إذن نرى الزَّهاوي حول فلسفة الحياة والموت يطرح نفس المنحى الَّذي اتَّخذه الخيام في البيتين أعلاه وهذا الموضوع لقد شغل عقول الكثير من المتفكرين والأُدباء وهذا ما دعا الله البشر أن يتفكرُوا في خلق الله حتَّى من وراء هذا الفكر يصلوا إلى الغاية الَّتي خلق الله الكون والبشر فبذلك يستقيم الإنسان على ما أراده له إذن فهذا هو الوجه المشترك الذي نجده عند الخيام والزهاوي فهما يسألان في الرُّباعيات أعلاه عن فلسفة الموت وفلسفة الحياة وعن عدم الرأي الموحَّد حول فلسفة الحياة لكن نجد اختلافا فكريا عندهما في كيفية هذه الحيرة فعند الخيام ما هذا اللوم والحيرة والشَّك احياناً الَّا بسبب الاكتفاء برأي خاص

Archive of SID

www.SID.ir

وجعله نصب العين ممَّا يؤدّي إلى استمرار هذا الإبهام وعدم الوصول إلى وضوحٍ في هذا الموضوع ولكن هذه الحيرة عند الزهاوي تنشأُ من عدم جود مدرسة فكرية خاصَّة يتكئ عليها في الحياة.

مكانة الخالق عند الخيام والزهاوي

منذ بدء الخلق وجدنا الانسان يسأل عن ربّه ومكانته في الوجود فتجد المفكرين يفسِّرون تفاسيراً مختلفة لتلك الأسئلة فالبعض منهم من ينكر الخالق ويحسبه من الخيال أو الشعور الإنساني الذي يريد سدّ فراغ الخالق والبعض يحسبه علة العلل للخلق فالخالق رأس الهرم عندهم، والبعض الآخر من العلماء التّجربيين أثبتوا وجود الخالق عبر النَّظم الحاكم في مظاهر الموجودات والكون والطّبيعة فالخيام والزهاوي ايضاً من بين هؤلاء المفكرين الذين يبحثون عن الله لذا قد فتحا باباً حول هذا الأمر وأدلوا بآرائهما حول الخالق:

دارنده چو ترکیب طبایع آراست — باز از چه فکندش اندر کم وکاست
گر نیك آمد شکستن از بهر چه بود — ور نیك نیامد این صور عیب کراست

(دشتي، ١٣٦٥: ٣٤٧)

في الرُّباعي أعلاه يبحث الخيام عن الوصول إلى معرفة النَّفس الَّذي أكد عليها أئمتنا الأطهار عليهم السلام لانَّها تنتهي بالإنسان إلى إيمان عميق ومعرفة متكاملة ربانية فقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «أفضَلُ المعرفَةِ مَعرفَةُ الإنسانِ نفسَه» (ريشهري، ١٣٧٩، ج٦: ١٤٠). فمعرفة النَّفس لا تأتي للإنسان عن فراغ فتشرع عن أسئلة يشرع بها الإنسان ليصل عن خلالها إلي جواب فقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النّفاق. (مجلسي، ج١: ١٨٠) ومن أراد أن يفسِّر الرُّباعي أعلاه تفسيراً عميقاً يظهر له جلياً أنّ الخيام قد قبل ربَّاً وأذعن له فهذا الرَّبُّ خلق الأشياءَ بأجمعها لكن يسأل عن فلسفة أفعال ذلك الخالق فيتساءل لماذا تنتاب المخلوقات النقوص والاحتياجات فيقول هل هي من فعل الله أم هي ناشئة، من نقصٍ ذاتي في وجود المخلوقات لكنَّه في الرُّباعي أدناه يجيب على هذه الأسئلة فيقول إنَّها ناشئة من حكمة ربانية الهية فيقول ما يلي:

ترکیب طبایع ار نگشتي کم وکاست — صورت بستي که طبع صورتگر ماست
پرورد وبکاست تا بدانند کسان — کاین عالم را مصوري کامرواست

Archive of SID

www.SID.ir

(دشتي، ١٣٦٥: ٣٢٥)

في الرُّباعي أعلاه يذعن الخيام أنَّ الله هو الَّذي صوَّر الإنسان وهذا ما أشار إليه القران الكريم: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ (آل عمران/٦) و: ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ (الحشر/٢٤) فيقول الخيام إنَّ هنالك اختلاف في خلق النَّاس وهذا أمر رباني وكما أشار إليه القرآن الكريم في مواطن عديدة ومنها: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾ (الرُّوم/٢٢). فالرُّباعي أعلاه يشير إلى موضوع الاختلاف في الصُّور والتَّركيب ويؤمن من جدٍّ الخيام بقوله في المصراع الأخير من الرُّباعي أعلاه "كاين عالم را مصوِّري كامرواست" والمصوِّر هو أحد أسماء الله تعالى.

فالمخالفون للفكر الخيامي التَّساؤُلي لا يدخلون في بحثٍ ناتجٍ لجوابٍ مع الخيام خوفاً من عدم إجابتهم لأسئلته ولكن الخيام في الحقيقة يريد للإنسان عدم الجري والأخذ بطريقة ومنهج سطحي وبرأيه أنَّ الإيمان الَّذي يبني على غير علم ينتهي بعصبية عمياء مثل ما كان عليه انسان زمانه والزهاوي ايضاً بعد تلقّي الأفكار الخيامية التحررية كأنّه يقبل تلك الفكرة المتحررة الّتي تدعو إلى التّفكر والتّأمُّل في كلِّ شيء فينشد:

لما جهلتَ منَ الطبيعةِ أمرَهَا ... وأقمتَ نفسَك مَقامَ محللِ
اثبتَ رباً تبتغي حلَاً بِهِ ... للمُشكلاتِ فكانَ أكبرَ مشكلِ

(الرشودي، ١٩٦٢م: ٢٣٢)

الزَّهاوي المتأثِّر بالفكر الخيامي والَّذي يدعو فيه لتعقلِّ كلِّ شيءٍ حتَّى أُمور الدِّين وهذا ما أشار إليه القران الكريم: ﴿**وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا**﴾ (الأسراء/٣٦). لكن الزَّاهاوي يبدي رأياً آخر فيقول إنَّ العلوم الطَّبيعية يلزم علينا أن نُفسِّرها عن طريق علومها الخاصَّة فلا يجوز أن نحلِّلها تحليلاً سطحياً مبتنياً على أساس تحليلات شخصية ونربطها بالدِّين فيعتقد أنَّ أكبر مشكل هو أن نفسِّر القضايا العلمية الطبيعية على أساس شخصي ونربطه بالدِّين فنهاية قوله على الإنسان أن يعرف ربَّه وخالقه عن علم وعن الطَّريق الخاص لذلك فلا يجعل الإنسان له ربَّاً يفسِّر به آراءه الَّتي تكون بعيدة عن الصَّواب.

فحقاً هذه حالة الانسان الذي يقبل وجود الخالق بصورة عمياء على نحو تقليد للآخرين

Archive of SID

www.SID.ir

دون اللجوء الى الفكر والبحث المستمر فهذا الانسان الَّذي آمن بربِّه على هذا المنهج فيكون مذبذباً في حياته ليس ثابتا على عقيدة خاصَّة لا يعرف اين اللجوء في أوقاتٍ هكذا. فنجد الجمال الخاصَّ لمضمون هذا البند من رباعيات الخيام ولكنَّ الزهاوي في آثاره بعد استخدامه لتلك الفكرة قد يطيل المقام وهذا مما يفسد المعنى ويزيل المستوى الجمالي لهذه الفئة من آثاره فيقول ما يلي:

تناسيتَ يا إنسانُ إنَّك ميِّتٌ وأنت مِنَ الاموات ترفعُ بيوتاً
فَتمشي عَلَى الأموات فِي كلِّ خُطوةٍ وتأكلُ أمواتاً وتَلبِسُ أمواتاً
تَنَاسَيتَ مِن أمواتِهَا ثم رُمتَ ان تعيشَ بِهَا عيش الخلودِ وهيهاتاً

(الزهاوي، ١٩٦٧: ٥٣)

فالزهاوي في الأبيات أعلاه يدور حول فكرة واحدة يكرِّر المعاني في الأبيات وبتكراره ذكر الموت أو الأموات قد أزال ذلك الرونق والجمال من هذه الأبيات. فهو استعمل الأُسلوب الخطابي في الأبيات "تناسيت، أنت، ترفع، تمشي، تأكل، تلبس، تناسلت، رمت، تعيش" فالفكرة الواحدة أنت ميتٌ وتعيش على آثار الأموات كرَّرها ثمان مرَّات. فالتِّكرار يحزن الإنسان يسبِّب النّفور والتَّضجر فيفقد الجمال.

تبديل الأجسام الى الفخار عند الخيام والزَّهاوي

كان الخيام يعتقد أن جسم الانسان بعد الموت وبعد تحوله الى التَّراب قد يتبدل الى الظّروف والأواني المفخورة وهذا بحث له فروع متشابكة لذا حول نشأة الفكرة ومصدرها هناك تكهنات كثيرة فيبرهن الخيام عن هذا الاعتقاد بهذه الفكرة فيما يلي:

اين كوزه چو من عاشق زاري بوده است در بند سر زلف نگاري بوده است
اين دسته كه بر گردن وي مي بيني دستي كه در گردن ياري بوده است

(دشتي، ١٣٦٥: ٣٨٢)

بما أنَّ الخيام ولد بنيسابور وكان أهلها كوَّازينَ يصنعون من التَّراب الكوزَ ثم يفخرونها بالنَّار فنظر في هذه العملية ودقَّقَ فيها فأتي بالفكرة في رباعياته وقال إنَّ جسم الإنسان بعد موته يتبدَّل إلى رفات ثُمَّ إلى تراب حيث يصنع منه الكوزَ والأواني والكؤوس وهذه إشارة إلى انحطاط الجسم بعد خروج الرُّوح منها وأنَّ شرافة الإنسان بروحه لكنَّه في الرُّباعي أعلاه يأتي بتجسيم جميل جداً وهذا يرجع إلى روائع الأدب الفارسي فقال إن هذه الكوزة هي عاشقة كما

Archive of SID

www.SID.ir

كان صاحب الرفات الَّذي صنعت منه وهذه اليد الَّتي فيها فهي يدٌ على رقبة حبيب لها كما كان صاحب الرُّفات يجعل يده على رقبة حبيبته فيريد أن يقول إنَّ الأجسام السُّفالية هي في الأصل من رفات البشر فالخيام مثل بعض المفكرين الروميين او غيرهم من المسلمين مثل ابي العلاء المعري والرَّازي كان يعتقد بفكرة التَّناسخ فادخلها في رباعياته والزهاوي تأثَّر من هذا الاتِّجاه الفكري لذا قد يقترب في هذا المحور الاعتقادي للخيام فيقول ما يلي:

أكثرُ التُّربِ عظامُ ... مِن ضلوعٍ وصدورِ
سَحَقتها أرجُلُ الدَّهرِ ... وأقدامُ العصورِ

(الزهاوي، ١٩٦٧: ٤٧)

لا نجزم بأنَّ الخيام يعتقد بالتَّناسخ ولا داعي لذلك أن نقوِّله ممَّا لم يقل فالرُّباعيات الَّتي أتى بها وذكر الكوز والكؤوس فيها وأيضا الزَّهاوي الَّذي تأثَّر بأفكار الخيام والَّذي أنشد في الرُّباعي أعلاه أنَّ أكثر التُّرب عظام و... وتسحق هذه التُّرب أرجل على مدى الدُّهور يريدان الإشارة الواضحة إلى نهاية ومسير هذا الجسم الَّذي يضحِّي الإنسان من أجله الغالي والنَّفيس وهذا ممَّا جاء على لسان الشُّعراء مما يلي:

وَيَا حَرِيصَاً عَلَى الأَموالَ تَجمَعُهَا ... أَنَسِيتَ أَنَّ سُرورَ المالِ أحزانُ
يَا خَادِمَ الجسمِ كَم تَسعَى لخِدمَتِهِ ... أَتَطلُبُ الرِّبحَ فِيمَا فِيهِ خُسرانُ
أقبِل عَلَى النَّفسِ وَاستَعمِل فَضَائِلَهَا ... فَأَنتَ بِالنَّفسِ لَا بِالجِسمِ إنسانُ

(البستي، ١٩٨٠: ٣)

فهنالك الكثير من الشُّعراء لا يهتمون بالجسم ويولعون الاهتمام الكثير بالرُّوح والجانب الإنساني على هذا الأساس فالشاعر في الأبيات أعلاه يذمُّ من يجمع الأَموال ويكدسها ثم يقول إنَّ هذه الأَموالَ تجلب الحزن لجامعها ثم يذمَّ الذي يبالغ في خدمة الجسم فيقول إنَّ هذا الجسم يصدر منه الخسران وفي البيت الثَّالث يدعو إلى التَّوجُّه إلى النَّفس وإكمال فضائلها لأنّ الإنسان بالنَّفس تكمل إنسانيته وليس بالجسم...

نقد فكرة التناسخ؛ التناسخ مسألة قديمة العهد في تاريخ البشر، قدم الموت في حياتهم فمنذ مات الناس الأوّلون على هذه الأرض، فكر أهلهم في مصيرهم بعد الموت في استمرار وجودهم أو عدمه، طارحين حول هذا المصير افتراضات عديده، يطمح بعضها إلى أن ميتهم سيعود، إليهم بجسم آخر، باسم شخص آخر، يدخل حياتهم باسم مولود جديد يطل على هذا العالم وتوسّع

Archive of SID

www.SID.ir

التفكير في هذا المصير حتى أخذ شكلا منهجيا في فلسفات روحية، وديانات أرضيه غير سماوية، خاصة لدى الشعوب القديمة من فراعنة وفينيقيين وهنود وصينيين، ويونان، وفرس فحفلت الديانات البراهمية والبوذية، والكنفوشية والزرادشتية بإشارات إلى مبدأ التناسخ بمختلف أشكاله وأنواعه وعندما ظهر الإسلام كان يحمل حلّا لقضية مصير الإنسان وقيامه وحسابه في الآخرة، وما يواكب هذا الحساب من الجنه أو النار، غير أن المجتمع الإسلامي قد عرف مذاهب فكرية وفلسفات شتى، وجدت فكره التناسخ لدى بعضها متسعاً ومقاماً، بل شهد هذا المجتمع محاولات كثيرة لإيجاد جذور لفكره التناسخ في الدين الإسلامي نفسه، فهبّ المفكرون المسلمون، على مرور القرون يوضحون موقف الإسلام من هذه القضية ويفندونه، وظهرت مؤلفات عديدة تناقش موضوع المصير البشري، ومصير المخلوقات عامه وما يمكن أن يلحقها من تناسخ وتقمص وفسخ ورسخ وأمَّا استدلال أهل التَّناسخ معتمدين على العقل فخانهم ولم يسعفهم فيما ادعوه فكانت دعواهم وهماً لا يعرّج عليه العقل الصحيح ومما استدلوا به أن قالوا إن النفس لا تتناهي، والعالم لا يتناهى لأمد، فالنفس منتقله أبداً، وليس انتقالها إلى نوعها بأولى من انتقالها إلى غير نوعها وللدهرية دليل آخر: إن العالم لا يتناهى فوجب أن تتردد النفس في الأجساد من نوعها الذي أوجب لها طبعها الأشراف عليه «والجواب: إنّا نمنع عدم تناهي كلٍّ من النفس والعالم وما فيه فلا تصح النتيجة، وبطلان التناسخ عقلاً هو عدم إمكان انتقال النفس إلى بدن آخر غير بدنها الذي فارقته» (مكي عاملي، ١٤١١: ٥١).

المعاد وكيفيته عند الخيام والزَّهاوي

الخيام قد ترك رباعيات تختص بمضمون المعاد فيسأل عنه بغضّ النظر عن معتقداته الإسلامية وكان ينوي أولاً: تذكر الانسان الغافل من الموت ثانياً: الابتعاد عن الغرور وعدم الإقدام على جمع الاموال وتكديسها كما كان يجمعها بعض أغنياء زمانه لكي لا يصبح الإنسان أسيراً للأموال وعبداً للدنيا ثالثاً: كانت تلك الرباعيات استراحة فكرية وتنوعياً في ايراد افكاره رابعاً: دعوة للتأمُّل والتّفكر للإنسان في الكون.

يك قطره آب بود ودريا شد　　يك ذره خاك با زمين يكجا شد
آمد شدن تو اندرين عالم چيست　　آمد مگسي پديد وناپيدا شد

(دشتي، ١٣٦٥: ٣٧٥)

الخيام في الرُّباعي أعلاه يشير إلى قيمة الفرد والمجتمع وأساس خلق الإنسان الَّذي خلقه اللّه

Archive of SID

www.SID.ir

من التُّراب ثمَّ يتسائل ما هو الهدف من المجيء في هذا العالم وهل الغرض أنَّ الإنسان يعتاد من الأكل والمطبخ والفراش والرياش والعمل والملبس والمشرب والمأكل وعلى هذا السَّبيل مستمرة هذه الدَّوامَّة فحينئذٍ يصبح الإنسان كأحد الحشرات مثل الذُّباب فالخيام أراد بهذه الصَّورة الرَّمزية يدعو إلى التَّفكر ليثير القوى الكامنة لدى الإنسان. فالخيام وبهذه الكيفية قد اتُّهم بالزندقة والكفر والإلحاد و... هذه الاتهامات من قبل بعض معاصريه بسبب هذه الرباعيات الّتي يلتمس فيها دعوة الإنسان إلى التّفكر والتّأمُّل جلياً في الله والكون والدُّنيا والآخرة ولكن الزهاوي في البند أدناه ايضاً قد اقترب من الفكر الخيامي بعد تعرفه على أفكاره فأنشد قائلاً:

هيهاتَ ليسَ لمن بِهِ ... تؤدي المنيةَ من الحياةِ
الا إذا اتَت القيامةُ ... وهِي يوماً سَوفَ تَأتي

(الزهاوي، ١٩٦٧: ٦٩)

الزَّهاوي في الرّباعي أعلاه يقول إنَّ من لم يتبصَّر في هذه الدُّنيا يبقى متحجِّراً حتى يوم القيامة والَّتي تأتي لا محالَ في ذلك وهذا إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ (الإسراء/٧٢) فالزهاوي في بعض أفكاره يشترك فكريِّاً وعقدياً مع الخيام ولكن يختلف معه اعتقاديا حول موضوع القيامة فيبوح عن اعتقاده في المقطوعة أدناه التي حول القيامة فيقول:

كم مِن مُضلٍ في جَمَاعتِه ... يعدُّ مِنَ الهداةِ
يرجُو وِصَالَ الحورِ بعدَ ... الموتِ قومَ بالصَّلاةِ

(الزهاوي، ١٩٦٧: ٦٩)

فالزَّهاوي في الرُّباعي أعلاه يؤكد على العمل ويعتبره عنصراً مهمّاً فيقول إنَّ الألقاب لا تنجي الإنسان في الآخرة والوصول إلى الجنَّة دون العمل يعدُّ تمنياً فيعتقد بالخالق والعالم الآخر لكن يوجِّه نقده حول من تلبّس باسم الدِّين ويعلِّم النّاس أصول الدِّين على أساس سطحي دون فكر وتأمُّل فيدعو الزّهاوي إلى دينٍ مبني على أساس البرهان والعقل والاستدلال فيوجِّه لومه على بعض التعاليم.

ثمن العقل الانساني عند الخيام والزَّهاوي

هذا البند الفكري كان محطاً للأنظار عند المفكرين الاسلاميين وقد تطرَّق اليه الكثير مثل ابي العلاء الذي يقول فيما يلي:

أيها الانسَانُ قَد منحتَ عُقُولاً ... ليسَ تَرضَى بِمَا سِوى البرهانِ

Archive of SID

www.SID.ir

(الزهاوي، ١٩٦٧: ٤٩)

الخيام أيضاً وبمدرسته الفلسفية الخاصَّة كان يعتبر العقل من أهم المصادر فيختزل اعتقاده بهذه المقولة معتقداً إنّ النَّاس يلزم عليهم أن يتّبعوا أصحاب الثِّقة والعقلاء والنُّبلاء في الحياة فيقول ما يلي:

بر چشم تو عالم از چه مي آرايند — مگر اي بدان كه عاقلان نگرايند
بسيار چو روند وبسيار آيند — بر باي نصيب خويش كت بربايند

(دشتي، ١٣٦٥: ٢٨٦)

استطاع الخيام على خلاف رأي أفلاطون أن يوحِّد بين الشّعر والفلسفة واتَّخذ منهجاً أرسطوئياً لاعتبار العقل فالخيام النيشابوري لقد أعطى العقل والعقلاء أهمية بالغة في كلِّ المجالات لذا في الرباعي أعلاه يدعو النَّاس إلى الأخذ من العقلاء والنُّبلاء فيقول في هذا الدَّوي والعالم الكثير من النَّاس أتى إلى العالم لكنَّهم بسبب عدم الإقبال إلى العقل والعقلاء كأنَّهم لم يأتوا.

في المقابل نجد الزهاوي ايضاً يعطي تلك المكانة الرفيعة للعقلاء ويحسب نفسه منهم فيقول ما يلي:

إني امـــــروٌ لا أجهـــــرُ — إلا بِمَـــا أنـــا أشـــعرُ
لا اطمـــئنّ بغـــيرِ مَـــا — أنـــا ســـامعٌ أو مُبصـــرُ

(الفاخوري، ٢٠٠٨م: ٤١٣)

في الرُّباعي أعلاه ينشد الزَّهاوي متأثِّراً من الخيام النيشابوري ويعطي الأهمية اللازمَّة للعقل والعقلانية وهذا ما يؤكد عليه القرآن الكريم: ﴿**وَلا تَقفُ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كانَ عَنهُ مَسئولًا**﴾ (الإسراء/٣٦). فالزَّهاوي يجعل العقل هو المصدر الأساسي لتلقي العلوم والدِّين ولا يعطي الأهمية اللازمة للقوة السَّامعة والباصرة في القضايا الدِّينية طبعاً لكنَّ لا يستطيع أحد أن ينكر قوَّتي السَّمع والبصر في بعض العلوم التجربية والفيزياء.

فالزَّهاوي لا يطمئن إلا عبر وسائل العقل للمعرفة التي هي من أهم حواس الانسان ويعتبرها من مصادر العلم نعم الخيام والزهاوي قد يشتركان في أصالة العقل لكسب المعرفة الإنسانية لكنّهما يعتقدان أنّ العقل الإنساني قاصر عن الوصول إلى المدارج العالية في المعرفة فينبغي أن يستخدم الإنسان سائر القوى من الحواس للوصول إلى المعرفة فيقول الخيام فيما يلي:

اجـرام كـه سـاكن ايـن ديواننـد — اسـباب تـردد خردمندانـد

Archive of SID

www.SID.ir

هـان تـا سـر رشـته خـرد گـم نكنـي　　كانـان كـه مدبرنـد سـر گردانند

(دشتي، ١٣٥٦: ٢٣٤)

في الرُّباعي أعلاه إنَّ الخيام كما كان يولي العقل أهمية واهتماماً لكنَّه هنا يجعل للعقل حدوداً فيعتقد أيضا بشدة وضعف الإدراكات في العقول ويضيف أنَّ الكثير من ذوي الألباب هم في حيرة إزاء أجرام ومخلوقات هذا العالم فالعقلاء والمفكرون غير قادرين إلى الوصول للمعرفة بصورة تامَّة فتلك المعرفة العقلانية المبدئية هي ضعيفة لا ترقى بقوة معرفية لذا انخرط الزهاوي في زمرة العقلانيين متأثراً بالخيام فيدخل هذه الاتِّجاهات في شعره فيقول ما يلي:

مَـا زَالَ هـذا الكـونُ سِـرَّاً طَاوِيـاً　　في نفسِـهِ الحقيقـةَ لَـم تُفهـمِ

العَاقِـلُ يخـبِطُ سـبَيلَهُ　　في جـوفِ ليـلٍ للعمايـة مظلـمِ

(الزهاوي، ١٩٦٧م: ٤١)

الزهاوي في الرُّباعي أعلاه يشارك الخيام بنفس الاعتقاد حول إدراكات العقل البشري ويرجع هذا الأمر للأسرار الموجودة في العالم والإنسان العاقل الذي يريد فهم أسرار هذا العالم فإنَّه يخبط سبيلاً لا يعرف أين الاتجاه الصَّحيح للطريق المستقيم.

الجبر والاختيار عند الخيام والزَّهاوي

يظهر الخيام لنا في كثير من رباعياته كشخصٍ متعب من اعباء الحياة وليس راضياً من الحال الموجود العقدي والفكري آنذاك فيقول معترضاً على نفسه فيما يلي:

گـر آمـدنم بخـود بـدي نامـدمي　　ور نيـز شـدن بمـن بـدي كـي شـدمي

بـه زان كـه انـدر ايـن ديـر خـراب　　نـه آمـدمي نـه شـدمي نـه بـدمي

(دشتي، ١٣٥٦: ٢٩٧)

يقول الخيام في الرباعي أعلاه أن مجيئي على إرادة قاهرة فوق إرادتي وهي إرادة الله الخالق والكوِّن وخروجي من الدّنيا هكذا لذا هو يبرهن بأنَّ الله الخالق جاء بنا إلى هذا العالم لحكمة فهو من خلال إيضاح هذا الأمر يفتح باباً أم أبواباً للفكر حول أسئلة فيم وإلى وأين نذهب؟ وهذه التّساؤلات هي الّتي تجعل الإنسان يفكر مليئاً بعاقبته فيعرب الرّباعي أعلاه أحمد صافي النّجفي خير تعريب ما يلي:

إن كنـتُ قبـلُ أتيـتَ الـدَّ　　نيـا بِـدُون اختيـارِ

وَسـوفَ أرحـلُ حتمـاً　　عَنـهَا غَـداً بِاضـطرارِ

Archive of SID

www.SID.ir

فقُـــــم نـــــديمي سَـــــريعاً وَاعقِـــــد نطـــــاقَ الأزارِ
فَسَـــوفَ أغسِـــل هـــمَّ الـــدُّ نيـــا لصَـــايفِ العِقَـــارِ

(بكار، ١٣٨٣: ١١٦؛ التعريب من أحمد صافي النجفي (١٨٩٧-١٩٧٧)

الخيام في الرُّباعي أعلاه يقدم لنا فكراً اشمئزازياً لكن هذا الفكر ليس بمعزل عن الأوضاع الاجتماعية الَّتي تأثَّر بها آنذاك فهو يقول إنَّ هذا العالم يدمِّر صفو الإنسانية ولو كان الأمر في اختياري ـ وهو هنا يجعل افتراضاً ـ لما أتيت لهذا العالم الَّذي يحطُّ بكرامة الإنسان فيبدأ الخيام في مثل هذه الرباعيات تضجره من الحياة ومن الموت وغيرها من الامور العالقة بالحياة فالزَّهاوي أخذ تلك الفكرة وصار ينشد في المقابل فيما يلي:

أتَـى غَـيرَ مُختـارٍ وفـارَقَ مُضـطراً ولَـم يـك لمـا عـاشَ في نفسِـهِ حُـرًّا
وَكـلُّ امـرئ يـدرِي شُـؤونَ حياتِـه وأمَّا الَّذِي بَعدَ الحياةِ فَلَا يدرَذا المنظار

(الزهاوي، ١٩٦٧: ٤٤)

الزَّهاوي في الرُّباعي أعلاه أيضاً ينشد متأثراً من الفكر الخيامي فيقول إنَّ مجيء الإنسان لهذا العالم ليس على إرادته وهكذا خروجه من هذا العالم وأيضا لم يك مختاراً كل الاختيار في حياته كما تحبُّه كوامن نفسه فهنالك جعل الدِّين قيوداً للإنسان بالعمل بها يصل الإنسان إلى الكمال لكن النَّقد الَّذي يتوجه للخيام والزّهاوي بما يلي هو أنَّ الإنسان الَّذي يؤمن بالدِّين أيضا هو يختار الحدود الدينية باختياره ويحسُّ باللذّة من العمل بها إذن من هذا المنظار فلا يجعل الدِّين للإنسان حدوداً لكن بعد الامعان والتَّأمُّل في مثل هذه الرباعيات وغيرها من الرُّباعيات للشاعرين نجد اختلافاً يلفت نظرنا وهو انَّ الخيام عندما ينشد هذه الرُّباعيات ويطرح هذه الآراء فلا يرنو الى الجبر الاصطلاحي عند الفلاسفة بل هو بهذا الشكل يطرح اللّوم على النَّفس النَّاجم من عدم إدراك فلسفة الحياة فيدعو في بعض رباعياته الى التلذذ فيقول فيما يلي:

دهقان قضا بسي چو ما كشت ودرود غـم خـوردن بيهـوده نميـدارد سـود
يـركن قـدح مـي بكفـم درنـه زرد تـا بـاز خـورم كـه بودنيهـا هـم بـود

(دشتي، ١٣٥٤: ٢٧٣)

إذن الخيام في الرُّباعي أعلاه يقول حسب رباعياته الآنفة الذِّكر إنَّه حينما كان مجينا وخروجنا من هذا العالم لم يك على اختيارٍ منَّا إذن علينا أن لا نهتمَّ ولا نغتم فعلينا أن

Archive of SID

www.SID.ir

نستلذَّ من لذائذ الحياة في هذا العالم لكن الزهاوي عندما يتكلم بهذه الصورة ونظراً لاتّجاهه المادي في افكاره فنجد موضوع الجبر في الإتيان إلى الدنيا وموضوع الموت السريع الذي يحتوي الإنسان لديه هو شكل من التَّعارض فقد شغل ذهنه وإحساساته فيقول ما يلي:

مَا جِئتَ استبق الحياةَ مُسَارِعاً ... لَو كانَ لِيقبلَ المجيءِ خِيارُ

إن عاشَ إنسانٌ تعِش أوطاره ... أو مَاتَ يوماً مَاتَ الأوطارُ

(الزهاوي، ١٩٦٦: ٥٨٩)

في الرُّباعي أعلاه يقول الزَّهاوي إنَّ الموت عندي هو المحطة الأخيرة التي ينتهي عنده كل شيء للإنسان فهو في اشعاره الجبريات هو ذلك الشخص الذي يمكن ان نسميه المجبّر ولكن الخيام يهدف من تلك الرباعيات إلى نوع من التحدّي الى اكتشاف فلسفة الاتيان والذَّهاب النّاجمة عن إدراك الحقائق للكون والحياة فيقول في الرُّباعي أعلاه إنَّه حينما كان مجيئنا وخروجنا لم يك على اختيارٍ منَّا إذن لماذا أُحمِّل فوق مقدراتي بالنسبة للحياة فإن عشتُ في هذه الدُّنيا أقوم على أساس من القدرات للوصول إلى أهدافي في هذه الفترة وإن متُّ فإذن تموت هذه الإرادات الَّتي تدعوني إلى الوصول إلى أهدافي.

## النتائج

من أبرز النَّتائج الَّتي توصَّلت إليه هذه الورقة البحثية فيما يخصُّ الخيام والزَّهاوي فيما يلي:

- نقول أدب الخيام الّذي تناول قضايا هامّة تهمّ البشرية فإنّه أدب عالمي وإبتعد شيئاً عن متناول الأدب القومي
- الزَّهاوي الشَّاعر العراقي الَّذي درس الفلسفة على والده وتعلَّم اللغة الفارسية شغف برباعيات الخيام حيث أصبحت منهلاً ثرَّاً له إذ نظمَ بالعربية رباعيات يشتركن في الوزن والمضمون مع الرُّباعيات الَّتي نظمها الخيام بالفارسية.
- لكن هنالك نتجت أيضا اختلافات في الرُّؤى بينهما فالزَّهاوي بالنِّسبة لعالم الآخرة يعتقد بالجبر ويقول لا بُدَّ من ذلك فيها.
- الخيام بالنِّيسبة للآخرة يظهر لنا غير راض وينتابه الشَّك والتَّضجُر.
- الزَّهاوي يعتقد بأصالة العقل في معرفة الدِّين
- الخيام يعتقد بالحواس للإنسان بأنَّها أساس كمصدر للمعارف البشرية.

Archive of SID

www.SID.ir

- فلسفة الحياة والحياة لدى الخيام والزَّهاوي تكون الهاجس الَّذي أصبح من المستعصيات على حلِّها لديهما.
- في مقاطع من الحياة الأدبية للزهاوي أُصيب بالنرجسية المعتدلة فنراه يفتخر بشعره حيث يداعي لنا نرجسية المتنبي.
- الزَّهاوي ونظراً لأفكاره الفلسفية والبعض منها العلمانية إذ يدعو بها لتحرر المرأة من الحجاب وهذا يؤخذ عليه لكن لن يستسلم إلى الاستعمار ولن ينقاد لهم في شعره.

Archive of SID

www.SID.ir

## المصادر والمراجع


القرآن الكريم.

١. آذرنوش، آذرتاش (١٣٧٩ش). *فرهنگ معاصر*. ط ٣، طهران: نشر ني.

٢. البستي، أبوالتفح (١٩٨٠م). *ديوان أبو الفتح البستي*. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.

٣. بكار، حسين (١٣٨٣ش). *رباعيات الخيام في ضيافة الشعر العربي*. طهران: [دون نا].

٤. تقي، وحيديان كاميار (١٣٧٩ش). *وزن وقافيه شعر فارسي*. طهران: دار نشر جامعة طهران.

٥. جعفري، محمد تقي (١٣٧٢ش). *تحليل شخصيت خيام*. ط ٣، طهران: انتشارات كيهان.

٦. الدُّروبي، إبراهيم عبدالغني (١٩٨٥م). *البغداديون أخبارهم ومجالسهم*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامَّة.

٧. دشتي، علي (١٣٥٦ش). *دمي با خيام*. ط ٣، طهران: مطبعة سبهر.

٨. ديوان حافظ (١٣٧٦ش). طهران: انتشارات سخن.

٩. الرشودي، عبدالحميد (١٩٦٢م). *الزهاوي نصوص ودراسات*. بيروت: دار مكتبة الحياة.

١٠. روحاني، محمد حسين (١٣٧٦ش). *تاريخ معاصر كشورهاي عربي*. ط ٢، طهران: توس.

١١. الزهاوي، جميل (١٩٢٨م). *ديوان اللباب*. ط ٦، بغداد: [دون نا].

١٢. الزهاوي، جميل (١٩٧٩م). *ديوان الزهاوي*. بيروت: دار العودة.

١٣. الزهاوي، جميل (١٩٨٣م). *ديوان النهضة*. بيروت: دار العلم للملايين.

١٤. الساعدي، حاتم (١٤٢٠هـ). *اتجاهات الشعر الأادبي المعاصر*. قم: انتشارات ستاره.

١٥. التكريتي، سليم طه (١٩٦٤م). *الزهاوي وأدبه*. مجالس الأدب في بغداد، مجلة بغداد، العدد ١، تشرين الثَّاني.

١٦. الأعظمي، وليد (٢٠٠١م). أعيان الزَّمان وجيران النُّعمان في مقبرة الخيزران. بغداد: مكتبة الرَّقيم.

١٧. غنيمي، هلال (٢٠٠٩م). *البنود الفكريِّة المشتركة بين الخيام والزهاوي*.مجلة الدراسات الأدبية الجامعة اللبنانية، صيف وخريف وشتاء.

١٨. فروخ، عمر (١٣٨١ش). *عقايد فلسفي أبو العلاء*. مترجم حسين خديو جم، طهران: انتشارات علمي وفرهنگي.

١٩. فاخوري، حنّا (٢٠٠٨م). *الجامع في الأدب العربي*. ط ٦، بيروت: [دون نا].


Archive of SID

www.SID.ir

٢٠. قدياني، عباس (١٣٨٤ش). *تاريخ وفرهنگ وتمدن ايران در دوره غزنويان*. طهران: انتشارات فرهنگ.

٢١. كاتب اصفهاني، عماد الدين (دون تا). *خريدة القصر في جريدة أهل العصر*.

٢٢. محسني، علي اكبر (١٤٣٤هـ). *التناص القرآني في شعر جميل صدقي الزهاوي*. مجلة اللغة العربيِّة وآدابها، جامعة طهران فرديس قم، الشتاء، السنة ٩، العدد ٤.

٢٣. محمدزاده، جواد (١٤٣٦هـ). *ظاهرة الحرية والوطنية في شعر أبي القاسم اللاهوتي وجميل صدقي الزهاوي*. مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة طهران فرديس قم، الربيع، السنة ١١، العدد ١.

٢٤. مكي العاملي (١٤١١هـ). *الإسلام والتناسخ*. قم: دار الزَّهراء.

٢٥. منصور، جهانگيري (١٣٧٨ش). *رباعيات خيام*. طهران: انتشارات ناهيد.

٢٦. الوردي، علي (١٩٩٨م). *دراسة في طبيعة المجتمع العراقي*. قم: انتشارات الحيدرية.

Archive of SID

www.SID.ir